

كمال الدين وتمام النعمة

[389] قوتا (1) وأقلهم كلاما ، وأصوبهم منطقا ، وأكبرهم رأيا ، وأشجعهم قلبا ، وأشدهم يقينا ، وأحسنهم عملا ، وأعرفهم بالامور . كنت واٍ للدين يعسوبا [أولا حين تفرق الناس وآخرها حين فشلوا] وكنت بالمؤمنين أبا رحيمًا ، إذ صاروا عليك عيالا ، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا ، وحفظت ما أضاعوا ، ورعيت ما أهملوا ، وشمرت إذ خنعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ جزعوا ، وأدركت إذ تخلفوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا . كنت على الكافرين عذابا صبا ، وللمؤمنين غيثا وخصبا ، فطرت واٍ بنعمائها ، وفزت بحبائها ، وأحرزت سوابقها (2) وذهبت بفضائلها ، لم تفلل حجتك (3) ، ولم يزغ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك [ولم تخن (4)] . كنت كالجبل [الذي] لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف . و كنت كما قال النبي صلى اٍ عليه وآله : ضعيفا في بدنك ، قويا في أمر اٍ عزوجل متواضعا في نفسك ، عظيما عند اٍ عزوجل ، كبيرا في الارض ، جليلا عند المؤمنين ، لم يكن لاحد فيك مهمز ، ولا لقاتل فيك مغمز ، ولا لاحد فيك مطمع ، ولا لاحد عندك هواة (5) ، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز

(1) في الكافي " أعلاهم قنوتا " وفي بعض نسخه
" قدما " (2) في هامش بعض النسخ الجديدة " سوابغها " . والظاهر هو الصواب بقريئة
النعماء والحباء . ولكن " بنعمائها " في بعض النسخ " بعنائها " و " حبائها " في بعض
النسخ " بجنائها " . (3) في بعض النسخ " لم يفلل حدك " (4) في بعض نسخ الكافي " لم تخر
" من الخور وهو السقوط . (5) المهمز : العيب والوقية والمغمز : المطعن والعيب أيضا
والهواة : اللين والرفق والرخصة والمحابة أي لا تأخذك عند وجوب حد اٍ على أحد محابة
ورفق . (*)